حكاية الشافعي للقولين على عشرة أقسام|ابن القاص

جميع ما يقول الشافعي -رضي الله عنه- في المسألة الواحدة من القولين فعلى عشرة أقسام:

أحدها: ما قال محاجًّا ليتبين به فساد الباطل وتحقيق القول الآخر... وقد نطق بهذا المعنى كتاب الله حيث يقول: "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين" إلى نهاية ما قص في ذكر خليله -صلى الله عليه وسلم-، ومعقول أن إبراهيم -عليه السلام- ما قال ذلك لتخالج ريب استنبطه، بل قاله حجة على كفار قومه ليتبينوا بالأقوال وتغيير الحال بطلان ما يعبدونهم.

الثاني: ما قاله على طريق الحكاية واختلاف الماضين قبله... وقد نطق الكتاب بنحوه، قال الله في عدد أصحاب الكهف: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" إلى "ما يعلمهم إلا قليل" الآية، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أنا من القليل، هم سبعة).

الثالث: ما قال فيه من القولين المتفاوتين ليمتحن المتعلمين باستخراجه ثم ينصَّ على ما يفتي به... قال الله جل ذكره في قصة يونس: "وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون" وفي ذلك وجهان من الحجة لمسألتنا: أحدهما أنه خاطب بعددين مختلفين محنة للسامعين والله أعلم، والوجه الثاني: أن الله تعالى خاطبنا بالخطاب المحتمل لوجوه: أحدها ما وصفنا من افتراق العددين، والثاني: أن يكون قوله: "أو يزيدون" معناه ويزيدون، والثالث: أن يكون معنى قوله: "أو يزيدون" في رأي

العين للناظرين، وأما عددهم للعادين فمئة ألف لا يزيدون، والرابع: أنهم مئة ألف ثم يتوالدون ويكثرون فيزيدون. وبهذا يبطل قول من زعم أن كثر الأقاويل لا يكون إلا لمبتغي التلبيس.

الرابع: أن يكون أحد القولين من طريق خبر قد سبق، والقول الآخر من طريق القياس، فيقول بالأثر ويدع النظر... وقد نطق بهذا المعنى كتاب الله تعالى في قصة بدر: "لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم"

الخامس: ما قال فيه القولين والمرء فيهما مخيَّر... وقد جاءت آيات في كتاب الله تعالى في التخيير من ذلك قوله تعالى في كفارة الأيمان: "إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة".

السادس: ما قاله على الترتيب [أي كل رواية لها حال تخصها] ... وقد نطق على معنى الترتيب الكتاب قال الله جل ذكره: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا" وذلك عندنا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن قَتَلَ قُتِل، وإن أخذ المال قُطِع، وإن جمع الأمرين قُتل وصُلب، وإن كثَّر وسوَّر نُفي من الأرض)

السابع: قال فيه القولين ولم يَبُح بأحجِّها؛ خوفًا من فساد الناس، ولكن بيَّن الأحجَّ منهما بالحجج...

الثامن: ما قال فيه القولين فيكون أحدهما على الإيجاب والآخر على الاحتياط... وقد نطق بنحو ذلك كتاب الله تعالى، قال الله تبارك تعالى: "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال" إلى ": الآن خفف الله عنكم" إلى آخر الآية.

التاسع: ما كان على طريق المبهم والمفسر [أي المطلق والمقيد] ... وقد نطق بنحو ذلك كتاب الله تعالى: "وأشهدوا إذا تبايعتم" فأبهم ذكر العدالة وأتى بها فقال: "وأشهدوا ذوي عدل منكم"

العاشر: ما قاله ليُقِرِّب المطلب على المتعلمين دون النصوص تورُّعًا عن التقليد وكلفهم التخليص ليتبين به فضل المجتهد على البليد.. وقد نطق بنحوه كتاب الله تبارك وتعالى، قال الله عز اسمه: "ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل" الآية، فقرب لهم المطلب إذ جعل المِثل من النَّعَم، ولم ينص لهم على الجزاء بعينه امتحانًا.

المصدر: نصرة القولين لابن القاص